حريّة المعتقد
مطلب قرآني

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ

.. بين الحين والآخر .. وهنا وهناك .. ترتفع الأصوات المنادية بإقامة الدول على معايير دينيّة أو مذهبيّة خاصّة ، تحت مسمّيات مختلفة ، ويتمُّ الطرح عبر شموليّة لا تختلف عن الشموليّة السياسيّة أحاديّة الاتّجاه .. ويتمُّ تجييش البسطاء من أجل إقامة هذه الدولة ، بحيث يُصوَّر الأمر لهم بأنَّ أيَّ دولة أُخرى مختلفة عن هذه الدولة هي دولة كافرة وفاسقة ومخالفة لشرع الله تعالى ، ويتم استدعاء بعض الآيات الكريمة التي لا تحمل ما يذهبون إليه لا من قريب ولا من بعيد ، إضافة إلى استدعاء بعض الروايات التي فُصِّلت أساساً وفق أهواء مذهبيّة وطائفيّة مسبقة الصنع ..

وبالطبع كلٌّ من هؤلاء الداعين لهذه الدول الدِّينيّة والمذهبيّة والطائفيّة ، يعتبر مذهبه الفكري وطائفته وما يؤطِّر به نفسه معياراً لدولته التي يُطلق عليها اسم الدولة الإسلاميّة .. ولمّا كانت هناك مذاهب فكريّة مختلفة ، ورؤى مختلفة حتى داخل المذهب الفكري الواحد ، فمن الطبيعي أن تختلف الرؤى بين الداعين لهذه الدولة ذاتها ، بحيث يكون الاختلاف بينهم – أحياناً – أكبر من اختلاف أيٍّ منهم مع الآخرين المنادين بالدولة المدنيّة الحرّة ..

وعلى الرغم من أنَّ الدولة مسألة أقرب إلى الجانب الدنيوي منها إلى جانب الآخرة ، وتتضمَّن الأحكام التي تنظم العلاقة الدنيويّة بين أبناء المجتمع ، على مختلف عقائدهم وانتماءاتهم الدِّينيّة والمذهبيّة والطائفيّة والعرقيّة والفكريّة والثقافيّة ، فإنَّنا سنبدأ بشرح أكذوبة احتكار الخلاص كمسألة تتعلَّق بالآخرة ، لنرى كيف أنَّ هذه الأكذوبة هي المقدّمة الأولى لكلِّ مترلقات التطرّف وإقصاء الآخرين والمتاجرة بالدِّين ، لصالح عصبيّات وأهواء سياسيّة تاجر بها بعض السابقين ، وحُوِّلت مع الزمن إلى دين بعد أن لُبِّست بروايات موضوعة وبتفاسير موروثة مصبوغة بلون تلك العصبيّات ، لا علاقة للدِّين الحقّ ولأحكامه الطاهرة بها ، لا من قريب ولا من بعيد ..

مسألة احتكار الخلاص مسألة قديمة زعمها اليهود ، ومن بعدهم النصارى ، يقول تعالى : ﴿ وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ [البقرة : ١١١] .. قولهم ﴿ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ ﴾ ، واضح وصريح في احتكارهم للخلاص عبر احتكارهم للجنة لهم وحدهم ... وقوله تعالى ﴿ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ ﴾ ، هو إجابة واضحة وجليّة من الله سبحانه وتعالى ، أنَّ قولهم هذا ليس أكثر من أماني ، وبالتالي هو أكذوبة يفترونها على الله تعالى ... وقوله تعالى ﴿ قُلْ هَاتُواْ

﴿ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ صريح في أنَّ من عليه الإتيان بالبرهان هو محتكر الخلاص ، وليس من لا يحتكر الخلاص ، وذلك لأنَّ الأمر غريب ومخالف ليس فقط لمنهج الله تعالى ، وإنّما أيضاً للفطرة النقيّة الطاهرة التي فطر الله تعالى الناس عليها ..

.. ومع ذلك .. سنأتي بالبرهان من كتاب الله تعالى بأنَّ الجنّة والنار ليستا لأمّة محدّدة أو دين محدّد أو مذهب محدَّد ، لنرى كيف أنَّ هذا الزعم هو مقدّمة فُصِّلت من الأهواء التي مادّتها العصبيّات النتنة ، لنتائج تتمحور حول إلغاء الآخرين وإقصائهم في الدنيا قبل الآخرة ..

.. إذاً .. من يصفهم الله تعالى بقوله ﴿ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ﴾ ، أي أهل الكتاب ، زعموا احتكار الخلاص ﴿ وَقَالُوا۟ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ﴾ .. والكثيرون – للأسف – من أتباع الفكر المحسوب على الإسلام أيضاً يحتكرون الخلاص ، وذلك بقولهم : بعد الرسالة الخاتمة لا يدخل الجنّة إلاَّ إن كان مسلماً من أتباع الرسالة التي أنزلها الله تعالى على النبيِّ محمّد ﷺ .. هاتان الفئتان هما من يحتكر الخلاص ، كلٌّ لنفسه ، معتقداً أنَّ الآخرين لن ولن يدخلوا الجنّة ، مهما عملوا ..

.. لذلك نرى الردَّ الإلهيَّ عليهم وعلى أهل الكتاب واضحاً جليّاً .. يقول تعالى ..

﴿ لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِىِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴾ [النساء : ١٢٣ – ١٢٤]

فقوله تعالى ﴿ لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِىِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ هو نفي لهذا الزعم الباطل الذي يزعمه أهل الكتاب والمحسوبون على الإسلام ..... وحقيقة هذا الزعم باحتكار الخلاص يصفه الله تعالى بأنَّه مجرَّد أماني ﴿ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ﴾ [البقرة : ١١١]

.. لذلك جاء النفي الإلهي لهذا الزعم عبر نفي هذه الأماني من أساسها ﴿ لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ ..

ويتابع البيان الإلهي في شرح جزئيّات هذه المسألة ﴿ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾ ، وذلك بصياغة عامّة ليست خاصّة بنا ولا بأهل الكتاب .. فالله تعالى لم يقل (من يعمل سوءاً **منكم أو منهم**) إنّما يقول ﴿ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا ﴾ ، لتشمل كلَّ البشريّة دون استثناء ..

.. وكذلك قوله تعالى ﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ ﴾ هو قولٌ مفتوحٌ على البشريّة جمعاء ، ولكن بشرط واحد هو ﴿ وَهُوَ مُؤْمِنٌ ﴾ .. فالإيمان شرطٌ لا بدَّ منه في معادلة الدخول إلى الجنّة .. ولكن .. نرى صيغة الإيمان شاملة ، ليست مضافة أو متعلّقة بدينٍ محدَّدٍ أو مذهبٍ محدَّدٍ أو مسألةٍ محدَّدة ﴿ وَهُوَ مُؤْمِنٌ ﴾ ..

ونحن نعلم أنَّ صفة الإيمان هي صفة لا يمكن احتكارها لدينٍ محدَّدٍ أو مذهبٍ محدَّد .. والله تعالى يأمرنا أن لا نصف إنساناً مسالماً (يُلقي إلينا السلام) بأنَّه ليس مؤمناً ..

﴿ وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ [النساء : ٩٤]

.. فصفة الإيمان بصيغتها العامّة هي – كما نرى – ليست حكراً على دينٍ محدَّدٍ أو مذهبٍ محدَّد ..... إنَّ صفة الإيمان في إطارها العام هي صفة واسعة .. يقول تعالى ..

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِن قَبۡلُۚ وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ﴾ [النساء : ١٣٦]

هؤلاء الذين يصفهم الله تعالى بقوله ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ﴾ ، يأمرهم جلَّ وعلا بقوله ﴿ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِن قَبۡلُۚ ﴾ ، وهذا يعني أنَّ المعنيّين بقوله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ﴾ ، ليسوا مؤمنين بما تصفه العبارات القرآنيّة ﴿ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِن قَبۡلُۚ ﴾ .. ولذلك نفهم العبارة القرآنيّة ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ﴾ بأنَّها خطابٌ من الله تعالى للذين يبحثون – وهم مطمئنون – عن الحقيقة بصدقٍ وإخلاص ، محاولين الوقوف على حقيقة الأمر ، لمعرفة خالق الكون ، ولمعرفة حقيقة المنهج الحق الذي يريده الله تعالى ... بمعنى : يا أيّها الباحثون بصدق المطمئنون بالحقيقة مهما كانت وأينما كانت ، يا من تريدون اتّباع الحق وأنتم مطمئنون لذلك .. الحق والحقيقة التي تبحثون عنها والتي تريدونها بصدق واطمئنان هي باتّباعكم للأوامر التالية ﴿ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِن قَبۡلُۚ ﴾ ..

.. إذاً .. قوله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ﴾ لا يقتضي شرطَ الإيمان بمنهج رسالة محدَّدة أو مذهبٍ بعينه أو طائفةٍ بعينها .. أبداً .. وهذا ما نراه في الآية الكريمة التالية ..

﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۗ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ [آل عمران : ١١٠]

فقوله تعالى ﴿ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ﴾ يعني لو آمن أهل الكتاب بمنهج الرسالة الخاتمة ، وذلك بدليل العبارة السابقة لها مباشرة ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۗ ﴾ والتي تصف متّبعي منهج الرسالة الخاتمة (القرآن الكريم) ، الذي بكينونته ينتج خير أمّة أُخرجت للناس ..

.. إنَّ كلمة ﴿ أُمَّةٍ ﴾ ، تعني المنهج والطريق ﴿ بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ ﴿٢٢﴾ وَكَذَٰلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ ﴾ [الزخرف : ٢٢ – ٢٣] .. والله تعالى لم يقل ((كنتم خير قومٍ أُخرجوا للناس)) إنّما يقول جلَّ وعلا ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ۗ ﴾ ، فمنهج القرآن الكريم بكينونته المتعلّقة بصفات الله تعالى كونه ينتمي لعالم الأمر وكونه محفوظاً من قِبَل الله تعالى ، وكونه يُخاطِب البشريّة جمعاء ، هو بهذه الكينونة ينتج بمن يتّبعه خير أمّة أُخرجت للناس ، كون أبناء هذه الأمّة يتّصفون بما يخاطبهم الله تعالى بقوله ﴿ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۗ ﴾ ..

.. ولكن .. هؤلاء الذين لم يؤمنوا بمنهج الرسالة الخاتمة من أهل الكتاب ﴿ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ﴾ ، ما هو مصيرهم ؟! ... العبارة الأخيرة في هذه الآية الكريمة تبيّن ذلك ﴿ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ ..

.. العبارة القرآنيّة ﴿ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ تصف لنا جزءاً من المعنيّين بقوله تعالى ﴿ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ﴾ ، أي تصف جزءاً من أهل الكتاب ، هكذا تنطق هذه الآية الكريمة ، لكنَّ الموروث وللأسف أصبح حاجزاً بين الكثيرين وبين الدلالات الحقّ لكتاب الله تعالى .. وكلُّ إنسان يدرك الحدَّ الأدنى من قواعد اللغة العربيّة يصل إلى هذه الحقيقة حينما يتجرَّد عن الكثير ممّا لم ينزل الله تعالى به سلطاناً ..

.. واحتجاج محتكري الخلاص على احتكارهم هذا بقوله تعالى ..

﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾ كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ وَشَهِدُوٓا۟ أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقٌّ وَجَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [آل عمران : ٨٥ – ٨٦] ..

هذا الاحتجاج ليس سليماً على الإطلاق ، وهو ناتج عن عدم إدراك دلالات كتاب الله تعالى ، بل عن عدم وجودة إرادة صادقة أصلاً لإدراك دلالات كتاب الله تعالى ..

.. هذه العبارات القرآنيّة تعني المسلمين الذين يريدون الارتداد عنه :

١ – ورود كلمة ﴿ يَبْتَغِ ﴾ في هذه العبارات القرآنيّة وبصيغة المضارع ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا ﴾ ، يعني أنَّ المعنيَّ بهذه العبارات القرآنيّة هو مسلم ، يريد ترك الإسلام ليذهب إلى منهج آخر .. ولا تعني هذه العبارات الآخر الذي ليس مسلماً .. فالآخر ليس مسلماً ليترك الإسلام مبتغياً غيره ..

٢ – ممّا يؤكّد أنَّ المعنيّين هم المسلمون الذين يعرفون الإسلام ويقفون على حقيقته وبأنه منهج الله تعالى الخاتم والذي أراده للبشريّة جمعاء ، وبعد ذلك يريدون الارتداد عنه ، ممّا يؤكّد ذلك هو الآية الثانية التالية مباشرة للآية الأولى في هذا النصّ الكريم ﴿ كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُواْ بَعْدَ إِيمَـٰنِهِمْ وَشَهِدُوٓاْ أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقٌّ وَجَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَـٰتُ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾ ..

.. إذاً .. المعنيّون بقوله تعالى ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَـٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴾ ، هم مسلمون يريدون أن يبتغوا منهجاً آخر غير منهج الإسلام الذي هم عليه ، وسبب عدم قبول أيِّ منهج آخر منهم هو أنَّهم واقفون على حقيقة الأمر ، وبين أيديهم المنهج الحق الذي أراده الله تعالى للبشريّة جمعاء والذي تكفَّل الله تعالى بحفظه ، ولذلك فهم بارتدادهم هذا يطمسون الحقيقة (يكفرون بها) ، تلك الحقيقة التي شهدوا أنّها حق ، نتيجة وجود البيّنات بين أيديهم ﴿ كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُواْ بَعْدَ إِيمَـٰنِهِمْ وَشَهِدُوٓاْ أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقٌّ وَجَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَـٰتُ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾ ..

.. لذلك فقمّة الجهل وقمّة الإعراض عن دلالات كتاب الله تعالى تتجلّى بالاحتجاج بهذه العبارات القرآنيّة على تكفير من هو ليس مسلماً ، كما يذهب المشوَّشون ذهنيّاً ، مدفوعين بأقوال المُعرِضين عن حقيقة دلالات كتاب الله تعالى ، انتصاراً لأصنامهم التاريخيّة التي يقدِّمونها ديناً بديلاً عن دين الله تعالى ..

.. وفي سياق الردّ على محتكري الخلاص ، لا بدَّ لنا من الوقوف عند قوله تعالى ..

﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [المائدة : ٧٣]

إنّنا نرى ورود كلمة ﴿ كَفَرَ ﴾ بصيغة الفعل الماضي ، وهذا يختلف عن ورود الصيغة الاسمية أو صيغة الفعل المضارع ..

﴿ وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [المائدة : ٥]

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴾ [النساء : ٤٨]

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴾ [النساء : ١١٦]

﴿ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴾ [المائدة : ٧٢]

﴿ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴾ [الحج : ٣١]

وهذا يتجلّى في ورود كلمة ﴿ يَقْتُلْ ﴾ بصيغة المضارع في قوله تعالى ..

﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾ [النساء : ٩٣]

.. المعني هنا هو من قتل مؤمناً متعمّداً واستمرّ على خطيئته هذه حتى وفاته دون أيّ توبة مقبولة .. فورود كلمة ﴿ يَقْتُلْ ﴾ بصيغة المضارع ودون الاقتران بتوبة مقبولة يُظهر هذه الحقيقة ، بمعنى البقاء على الخطيئة حتى الموت ودون توبة مقبولة .. ولكن .. إن وُجدت توبة مقبولة بعد القتل فالأمر مختلف تماماً ، وهذا ما نراه في قوله تعالى ..

﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا ﴾ [الفرقان : ٦٨ – ٧١]

.. فقوله تعالى ﴿ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا ﴾ يبيّن لنا أنّ القاتل لم يستمر إلى نهاية حياته مصرّاً على هذه الخطيئة ، فالقاتل – هنا – تاب توبة مقبولة ..

.. إذاً .. ورود كلمة ﴿ كَفَرَ ﴾ بصيغة الفعل الماضي في قوله تعالى ..

﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ ۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا۟ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [المائدة : ٧٣]

.. هذا الورود هو وصف لجحودهم وتغطيتهم لحقيقة كان عليهم ألاً يغطّوها ، وهي أنّ الله تعالى واحد ، وليس ثالث ثلاثة كما يقولون ..

.. ولكن .. هؤلاء الذين يقولون ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ ﴾ ، ينقسمون إلى قسمين اثنين :

١ – منهم من يقول ذلك كتقليد أعمى وكموروث وكنتيجة لعدم اطّلاعه على حقيقة الأمر ، ولا شكَّ أنَّه بذلك غطّى الحقيقة ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ ﴾ فدخل العمق الأوَّل من عمقي الكفر المذكور في هذه الآية الكريمة .. ولكنّه بسلوكه وعمله هو إنسان لا يعمل الفواحش وهو ملتزم – كعمل – بكل القيم النبيلة ، ولو أُتيحت له فرصة الوقوف – كعلم – على الحقيقة لتراجع واتّبع الحق ..

٢ – ومنهم من يقول ذلك ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ ﴾ استكباراً وجحوداً بحقيقة يعلمها هي نقيض ما يقوله في جحوده هذا ، ويمارس هذا الجحود في عمله وسلوكه .. فهذا القسم دخل العمق الثاني والأكبر من الكفر ، ومهما قُدِّمت له الحجج لاتّباع الحقيقة فلن يتراجع عن قوله ولن يتّبع الحق .. وهذا ما تصوّره العبارة القرآنيّة ﴿ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ ﴾ ..

.. فقوله تعالى ﴿ وَإِن لَّمْ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ ﴾ يعود إلى القسمين معاً ، لأنَّ القسمين يقولون ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ ﴾ .. ولكنَّ القسم الثاني من هذين القسمين مارس كفراً فوق الكفر الأوَّل ، فكلمة ﴿ مِنْهُمْ ﴾ تعود إلى الجميع الذين قالوا ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ ﴾ ، أي تعود إلى القسمين .. ولكنَّ القسم الثاني فقط من هذين القسمين والذي مارس العمق الأكبر من هذا الكفر ﴿ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ ﴾ هو الذي سيمسّه عذابٌ أليم ﴿ وَإِن لَّمْ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ ..

.. فالله تعالى لم يقل (**وإن لم ينتهوا عمّا يقولون ليمسّنّهم عذابٌ أليم**) ، إنّما يقول جلّ وعلا ﴿ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ ..

فكلمة ﴿ كَفَرُواْ ﴾ هنا تعود للقسم الثاني فقط ، وذلك بتخصيصها بكلمة ﴿ مِنْهُمْ ﴾ .. فكلمة ﴿ مِنْهُمْ ﴾ تتكوَّن من كلمة (مِن) التي تفيد التبعيض وتخصّص القسم الثاني فقط ، وكلمة (هم) التي تعود إلى كلٍّ المعنيّين بقوله تعالى ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ ﴾ ..

.. الأعراب .. أليسوا من المسلمين ؟ .. ﴿ ۞ قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ۖ ﴾ [الحجرات : ١٤] .. هؤلاء الأعراب .. ألم يصفهم الله تعالى في كتابه الكريم بأنَّهم أشدُّ كفراً ونفاقاً ﴿ ٱلْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُواْ حُدُودَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة : ٩٧] ..

.. ألم يصف الله تعالى بعض المسلمين الذين يصلّون ويزكّون بالكفر ، نتيجة تغطيتهم للحقيقة ..

﴿ وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَٰتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَٰرِهُونَ ۝ فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴾ [التوبة : ٥٤ – ٥٥]

.. لذلك .. فالاستشهاد بقوله تعالى ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ ۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [المائدة : ٧٣] على تكفير جميع أهل الكتاب ، وعلى

دخولهم (جميعاً) النار في الآخرة ، هو استشهاد باطل ، وناتج عن جهلٍ عميقٍ بدلالات كتاب الله تعالى ، وعن اتّباعٍ أعمى لموروث ينقض كتابُ الله تعالى الكثيرَ من جوانبه جملةً وتفصيلاً ..

.. وهنا قد يقول قائل : إنَّ شرط الإيمان هو الإيمان بجميع الرسل عليهم السلام ، ومنهم الرسول محمّد ﷺ .. وأهل الكتاب لا يؤمنون بالرسالة التي أنزلها الله تعالى على النبيِّ ﷺ ، يقولون ذلك محتجّين بقوله تعالى ..

﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ﴾ [البقرة : ٢٨٥]

.. فكلمة ﴿ وَرُسُلِهِۦ ﴾ واضحة وجليّة كشرط للإيمان بجميع الرسل عليهم السلام ، ومنهم محمّد ﷺ .. وبالتالي – بناء على قولهم – لا يتّصف بالإيمان إلاّ من آمن بالرسالة الخاتمة التي أنزلها الله تعالى على النبيِّ محمّد ﷺ ..

ونجيب على ذلك فنقول : هذه الآية الكريمة خاصّة بتصوير المؤمنين من متّبعي الرسالة الخاتمة ، ودليل ذلك هو كلمة ﴿ ٱلرَّسُولُ ﴾ التي تعني محمَّداً ﷺ ، وبالتالي فكلمة ﴿ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ ﴾ التي تتبعها بذات السياق تعني المؤمنين من أتباع محمَّد ﷺ ... وهؤلاء المؤمنون من أتباع الرسالة الخاتمة مطالبون بالإيمان بجميع الرسل عليهم السلام ، وذلك كون القرآن الكريم الموجود بين أيديهم والحامل للرسالة الخاتمة لن يحرَّف أبداً ، لأنَّ الله تعالى تكفَّل بحفظه ، وفيه يُذْكَر كلُّ الرسل عليهم السلام الذين يُطالَب المسلمون بالإيمان بهم ..

.. وممّا يؤكّد ذلك أنّ أهل الكتاب الذين لم يؤمنوا بمنهج الرسالة الخاتمة ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ﴾ [آل عمران : ١١٠] ، يصف الله تعالى بعضهم بقوله : ﴿ مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ ، وبعضهم الآخر بقوله : ﴿ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ ، كما بيّنا سابقاً .. فعلى الرغم من عدم إيمانهم بمنهج الرسالة الخاتمة وعدم مجيئهم إليه ﴿ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ﴾ على الرغم من ذلك ، منهم من يصفه الله تعالى بقوله ﴿ مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ ..

.. وممّا يؤكّد ذلك أنّ احتكار الخلاص – كما رأينا – هو أكذوبة .. فوضْعُ هذا الشرط وهو الإيمان بنبوّة محمّد ﷺ ليكون الآخرون (غير المسلمين) مؤمنين ، هو احتكارٌ للخلاص ، وأمنيات كأمنيات أهل الكتاب ، وكنّا قد رأينا كيف أنّ القرآن الكريم ينقض هذه الأمنيات جملةً وتفصيلاً ..

﴿ لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴾ [النساء : ١٢٣ – ١٢٤]

.. إذاً .. شرط الإيمان بكلّ الرسل دون استثناء يتعلّق بمتّبعي الرسالة الخاتمة .. بينما الرسالات الأخرى حكمها آخر ، فلو آمن أتباعها بالرسول محمّد ﷺ لكانوا مسلمين .. هذه الحقيقة نراها جليّةً في قوله تعالى ..

﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ

وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾ لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّآ أَذًى ۖ وَإِن يُقَٰتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ ٱلْأَدْبَارَ
ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١١١﴾ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓا۟ إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ
ٱلنَّاسِ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْمَسْكَنَةُ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ
بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿١١٢﴾ ۞ لَيْسُوا۟
سَوَآءً ۗ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾
يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ
وَيُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٤﴾ وَمَا يَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلَن
يُكْفَرُوهُ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ ﴾ [آل عمران : ١١٠ – ١١٥]

.. هنا لا نرى شرط الإيمان بجميع الرسل كما رأيناه في وصف المؤمنين بالرسالة الخاتمة التي أنزلها الله تعالى على النبيِّ محمَّدٍ ﷺ .. فصفات المؤمنين من أهل الكتاب بيّنها الله تعالى بقوله ﴿ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَأُو۟لَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٤﴾ وَمَا يَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ ﴾ ..

.. والمتدبّر لكتاب الله تعالى بتجرّد يرى هذه الحقيقة جليّة ، فذمُّ الله تعالى لاحتكار الخلاص ، وبيانه جلَّ وعلا أنَّ هذا الاحتكار أكذوبة (كما رأينا) ، يكفي كلَّ باحث عن الحقيقة ..

.. والذين يهربون من الانصياع للأحكام التي يحملها كتاب الله تعالى ، جرياً وراء عصبيّاتهم ، ويعشقون مبدأ احتكار الخلاص الذي يتناغم مع ما في نفوسهم من عصبيّات

، يستشهدون بقوله تعالى ﴿ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَـٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ ﴾ على أنَّ رحمة الله تعالى لا تُكتَب إلاَّ لمتّبعي الرسالة الخاتمة ..

.. ولننظر في النصِّ القرآني المحيط بهذه العبارات القرآنيّة نظرة تدبّرٍ مجرَّد ، محاولين مسَّ دلالاتها ..

﴿ وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَـٰتِنَا ۖ فَلَمَّآ أَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّىَ ۖ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ ۖ إِنْ هِىَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهْدِى مَن تَشَآءُ ۖ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا ۖ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَـٰفِرِينَ ﴿١٥٥﴾ وَٱكْتُبْ لَنَا فِى هَـٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ ۚ قَالَ عَذَابِىٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ ۖ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَـٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَـٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَـٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَـٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَـٰتِهِۦ

وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ وَمِن قَوۡمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٞ يَهۡدُونَ بِٱلۡحَقِّ وَبِهِۦ يَعۡدِلُونَ ﴿

﴾ [الأعراف : ١٥٥ – ١٥٩]

.. هذا النصُّ الكريم يصوِّرُ موقفاً لموسى عليه السلام حينما اختار قومه لميقات الله تعالى ، ودعاءَ موسى عليه السلام عندما أخذتهم الرجفة ، وطلبَه من الله تعالى أن يكتب لهم في هذه الدنيا حسنة وفي الآخرة ، مبتدأً مرحلة جديدة [[كما بيّنت في النظريّة السادسة (سلّم الخلاص)]] بظهور مفهوم جديد هو ﴿ ٱلَّذِينَ هَادُواْ ﴾ .. وقوله تعالى ﴿ إِنَّا هُدۡنَآ إِلَيۡكَۚ ﴾ واضحٌ وجليٌّ في ذلك ..

.. وتأتي إجابة الله تعالى على ذلك مباشرة ﴿ قَالَ عَذَابِيٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنۡ أَشَآءُۖ وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ فَسَأَكۡتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤۡمِنُونَ ﴾ .. فكلمة ﴿ فَسَأَكۡتُبُهَا ﴾ والمتعلِّقة برحمة الله تعالى التي وسعت كلَّ شيء ﴿ وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ ﴾ هي جزءٌ من هذه الإجابة على طلب موسى عليه السلام ، وهذه الرَّحمة سيكتبها الله تعالى على من يتَّصف من قوم موسى عليه السلام بالصفات : ﴿ يَتَّقُونَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤۡمِنُونَ ﴾ ..... وهؤلاء الذين ستُكتَب لهم رحمةُ الله تعالى والمتَّصفون بهذه الصفات ، هم المعنيّون بكلمة ﴿ لِلَّذِينَ ﴾ في قوله تعالى ﴿ فَسَأَكۡتُبُهَا لِلَّذِينَ ..... ﴾ ..

.. بعد ذلك تبدأُ الآية التالية بكلمة ﴿ ٱلَّذِينَ ﴾ ، ولا تبدأ بكلمة ﴿ لِلَّذِينَ ﴾ ، وبالتالي نحن أمام كلامٍ مستأنفٍ جديدٍ منقطعٍ عن العبارات القرآنيّة المصوِّرة لإجابة الله تعالى على طلب موسى عليه السلام .. وهذا يتأكَّد معنا في النقاط التالية ..

١ – الله تعالى يقول ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ﴾ ولم يقل : ((للذين يتّبعون الرسول النبيّ الأمي)) .. صحيحٌ أنَّ مجرَّد ورود هذه العبارة القرآنيّة مبتدئة بكلمة ﴿ ٱلَّذِين ﴾ وليس بكلمة ﴿ لِلَّذِين ﴾ ليس دليلاً قاطعاً على بداية لعبارات قرآنيّة تصوِّر مسألةً جديدة مستقلّة تماماً عن المسألة السابقة المتعلّقة بإجابة الله تعالى على طلب موسى عليه السلام ، ولكنَّها في الوقت ذاته ليست دليلاً على تعلّق العبارات التالية لكلمة ﴿ ٱلَّذِين ﴾ بالعبارات التالية لكلمة ﴿ لِلَّذِين ﴾ .. لكنَّ النقاط التالية تؤكِّد الاستقلاليّة التامَّة بين هاتين المسألتين ..

٢ – العبارات التالية لكلمة ﴿ ٱلَّذِين ﴾ تؤكِّد أنَّ كلمة ﴿ ٱلَّذِين ﴾ ((أوَّل كلمة في الآية التي يُذْكَر فيها الرسول النبيّ الأميّ في هذا النصِّ)) تبدأ بهذه الآية الكريمة مسألة جديدة ، مستقلّة تماماً عن مسألة الرَّحمة التي ذكرها الله تعالى في إجابته على موسى عليه السلام ، والتي سيكتبها على بعض قوم موسى عليه السلام ﴿ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَـٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴾ .. كيف ؟ ..

.. العبارات التالية لكلمة ﴿ ٱلَّذِين ﴾ تتعلَّق بمراحل تتعدَّى – زمنيّاً – المرحلة التي تمّ فيها دعاء موسى عليه السلام وإجابة الله تعالى بأنَّ رحمته سيكتبها لجزء من قومه ..

﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَـٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَـٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَـٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ﴾

.. فكيف من الممكن أن يجيب الله تعالى موسى عليه السلام بأنَّ رحمته التي سيكتبها على جزء من قومه في عصره تتعلَّق بالذين يتّبعون ﴿ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ﴾ ، كيف سيتّبعون في عصرهم محمّداً ﷺ وهم في عصر يسبق مجيئه بقرون كثيرة ؟!!! ..

.. ونرى ورود كلمة ﴿ وَٱلْإِنجِيلَ ﴾ .. والإنجيل آتاه الله تعالى لعيسى عليه السلام بعد مرحلة طلب موسى عليه السلام وإجابة الله تعالى له بفترة كبيرة .. فكيف سيجدونه مكتوباً عندهم في الإنجيل ﴿ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ ﴾ والإنجيل سيترل بعدهم بقرون ليست قليلة ؟!!! ..

.. وكيف ﴿ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ﴾ والقرآن الكريم سيترل بعدهم بقرون كثيرة ؟!!! ..

.. إذاً .. الآية الكريمة التي تبدأ بكلمة ﴿ ٱلَّذِينَ ﴾ : ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ﴾ تحمل مسألةً جديدة مستقلَّة عن العبارات السابقة لها والتي تُصوِّر الرحمة التي سيكتبها الله تعالى على بعض قوم موسى عليه السلام ، كإجابة من الله تعالى على طلب موسى عليه السلام ﴿ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴾ ..

٣ – ما يؤكِّد استقلاليّة الآية الكريمة التي تبدأ بكلمة ﴿ ٱلَّذِينَ ﴾ عن العبارات السابقة لها في الآية السابقة لها مباشرة ، والمتعلِّقة بالرحمة التي سيكتبها الله تعالى على بعض قوم موسى عليه السلام ، ما يؤكِّد هذه الاستقلاليّة هو أنَّ كلَّ المسائل المتعلِّقة بالرسالة الخاتمة تأتي بصيغة المضارع [﴿ يَتَّبِعُونَ ﴾ ، ﴿ يَجِدُونَهُۥ ﴾ ، ﴿ يَأْمُرُهُم ﴾ ، ﴿ وَيَنْهَىٰهُمْ ﴾ ، ﴿ وَيُحِلُّ ﴾ ، ﴿ وَيُحَرِّمُ ﴾ ، ﴿ وَيَضَعُ ﴾] ... وهذا يتعلَّق بكون هذه المرحلة تختلف عن المرحلة التي أجاب الله تعالى بها موسى عليه السلام على طلبه .. فكيف سيتّبع قوم موسى وفي عصره الرسول النبيّ الأمي ؟ .. وكيف سيجدونه مكتوباً

عندهم في الإنجيل الذي آتاه الله تعالى لعيسى عليه السلام بعد موسى عليه السلام بقرون ؟ .. وكيف يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحلُّ لهم الطيّبات ، وقد بُعث ﷺ بعد موسى بقرون ؟ .. وكيف وكيف .....

٤ – تكملة هذه الآية الكريمة مبتدئة بكلمة ﴿ فَٱلَّذِينَ ﴾ هي ابتداء لبيان مسألة جديدة ، مستقلّة عن المسألة السابقة بذات الآية الكريمة التي تحدّثنا عنها ، وبالتأكيد مستقلّة عن الآية السابقة : ﴿ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ .. وهذا يؤكِّد أنَّ هذه الآية الكريمة مستقلّة بدلالاتها عن الآية السابقة لها مباشرة .. فكيف سينصر قوم موسى عليه السلام في عصرهم النبيَّ محمَّداً ﷺ ؟!!! ..

٥ – صيغ الأفعال في هذه العبارة القرآنيّة المبتدئة بكلمة ﴿ فَٱلَّذِينَ ﴾ ، نراها بصيغة الماضي : [﴿ ءَامَنُواْ بِهِۦ ﴾ ، ﴿ وَعَزَّرُوهُ ﴾ ، ﴿ وَنَصَرُوهُ ﴾ ، ﴿ وَٱتَّبَعُواْ ﴾ ، ﴿ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ﴾] ، وهي تتعلَّق بـــ ﴿ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ﴾ ﷺ ، وهذا يتعلَّق بما بعد إنزال القرآن الكريم على النبيِّ ﷺ .. وكلُّ ذلك يجعل من الآية الكريمة (كاملة) مستقلّة عن الآية السابقة لها والتي تحمل العبارة القرآنيّة ﴿ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴾ ..

٦ – الآية التالية مباشرة هي متابعة في هذه الاستقلاليّة ، فهي خطاب من الله تعالى لرسوله ﷺ بأن يتوجَّه للناس كافّة بمضمونها ..

﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِي لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلْأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾

٧ – الآية التالية مباشرة تؤكّد فساد معتقد احتكار الخلاص في تفسير هذه الآيات :

﴿ وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴾

.. فلو كانت الرحمة لا تُكتَب إلاّ لمتّبعي الرسالة الخاتمة كما يريد أصحاب الأهواء ، فكيف بنا أن نفهم قول الله تعالى بأنّه من قوم موسى هناك أمّة يهدون بالحق وبه يعدلون ، وبالتأكيد من يهدي بالحق ويعدل به يستحقُّ رحمة الله تعالى ؟!!! .. أليست الكلمتان [﴿ يَهْدُونَ ﴾ ، ﴿ يَعْدِلُونَ ﴾] بصيغة المضارع ، بمعنى أنّهم الآن يهدون بالحق ، وبه يعدلون الآن ؟ ..

٨ – مذهبهم من التفسير باحتكار الرحمة لمنهج الرسالة الخاتمة فقط ، يتصادم مع الكثير من آيات كتاب الله تعالى ، التي تبيّن فساد معتقد احتكار الخلاص كما بيّنا ..

.. المشكلة الفكريّة والثقافيّة عند المطبّلين والمزمّرين لدولة تاريخيّة يحسبون أنّها عين الدولة الإسلاميّة ، تكمن في كونهم يحسبون أنّ البشريّة جمعاء (على مختلف أديانها ومذاهبها وطوائفها) سيحاسبها الله تعالى يوم القيامة وفق معاييرهم المذهبيّة والطائفيّة الضيّقة التي صنعها بعضُ أسلافهم ، وبالتالي يعتقدون أنّ كلّ الآخرين من أهل النار .. ولا يوجد عندهم مجرّد استعداد للنظر في قوله سبحانه وتعالى ﴿ وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [الجاثية : ٢٨] .. هم لا يعنيهم قول الله تعالى ﴿ كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا ﴾ .. ولا يعنيهم كون الدعوة لكلِّ أمّة هي إلى كتاب هذه الأمّة وليس إلى كتاب أمّة أُخرى ﴿ كِتَٰبِهَا ﴾ .. ولا يستطيعون النظر إلى دلالات هذه العبارة القرآنيّة ﴿ كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا ﴾ إلاّ على أنّها تعني أنّ كلّ أمّة تُدعى يوم القيامة إلى نصوص مذهبهم الضيّق المخالف أصلاً في الكثير من جوانبه لدلالات كتاب الله تعالى .. ولا يعنيهم قول الله تعالى ﴿ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ

مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ ، الذي يؤكِّد أنَّ العمل هو القاسم المشترك بين جميع الأمم ، وأنَّه الحدُّ الأكبر في معادلة الدخول إلى الجنّة والنار ، كما يؤكِّد الله تعالى بشكلٍ جليٍّ في الكثير من آيات كتابه الكريم ..

.. والداعون إلى دولة دينيّة حسب معاييرهم الخاصّة التي تميّز مذاهبهم الفكريّة ، يستشهدون على ما يذهبون إليه بقوله تعالى .. ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [المائدة : ٥١] ، معتبرين الشراكة السياسيّة الكاملة مع الآخرين من أبناء الوطن الواحد ولايةً يأمر الله تعالى بالابتعاد عنها ..

.. ما هي الولاية المعنيّة هنا والتي ينهانا الله تعالى عنها ؟ .. وكيف نوفِّق بين ذلك وبين قوله تعالى ﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ۝٨ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُواْ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [الممتحنة : ٨ – ٩] ؟ ..

.. الجذر اللغوي (و ، ل ، ي) يدلّ على قرب ، وأولى بالشيء أحرى به وأجدر ، ووليُّ أمر فلان هو المسؤول عن أمره وعن توجيهه ..... ولا بدَّ من سياقٍ محيطٍ – ولو إشارة مضمرة – بأيٍّ مشتق من مشتقات هذا الجذر لمعرفة جهة الولاية المعنيّة ..

.. فالولاية المعنيّة في الآية الكريمة التالية هي ولاية توجيه وأمر بالكفر ، ولذلك ينهى الله تعالى عنها ..

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَابَآءَكُمْ وَإِخْوَٰنَكُمْ أَوْلِيَآءَ إِنِ ٱسْتَحَبُّواْ ٱلْكُفْرَ عَلَى ٱلْإِيمَٰنِ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [التوبة : ٢٣]

ولكن هذا لا يعني أنَّ الآباء ليسوا أولياء لأمور أبنائهم في مسائل أُخرى .. فقوله تعالى ﴿ إِنِ ٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡكُفۡرَ عَلَى ٱلۡإِيمَٰنِۚ ﴾ يحدّد نوع الولاية التي ينهانا الله تعالى عنها ، وهي ولاية التوجيه باتّجاه الكفر ﴿ لَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَابَآءَكُمۡ وَإِخۡوَٰنَكُمۡ أَوۡلِيَآءَ إِنِ ٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡكُفۡرَ عَلَى ٱلۡإِيمَٰنِۚ ﴾ ..

.. والولاية المتعلِّقة بمسألة محدّدة هي مسألة الكفر حيث ينهى الله تعالى عنها ، نراها في النصوص التالية ..

﴿ تَرَىٰ كَثِيرٗا مِّنۡهُمۡ يَتَوَلَّوۡنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ لَبِئۡسَ مَا قَدَّمَتۡ لَهُمۡ أَنفُسُهُمۡ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ وَفِي ٱلۡعَذَابِ هُمۡ خَٰلِدُونَ ٨٠ وَلَوۡ كَانُواْ يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِيِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمۡ أَوۡلِيَآءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرٗا مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ ﴾ [المائدة : ٨٠ – ٨١]

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَكُمۡ هُزُوٗا وَلَعِبٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَٱلۡكُفَّارَ أَوۡلِيَآءَۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾ [المائدة : ٥٧]

﴿ لَّا يَتَّخِذِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَلَيۡسَ مِنَ ٱللَّهِ فِي شَيۡءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنۡهُمۡ تُقَىٰةٗۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلۡمَصِيرُ ﴾ [آل عمران : ٢٨]

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ عَلَيۡكُمۡ سُلۡطَٰنٗا مُّبِينًا ﴾ [النساء : ١٤٤]

.. إذاً .. الولاية التي ينهى الله تعالى عنها في هذه النصوص هي اتّباع أوامر الكفر والابتعاد عن منهجه جلّ وعلا .. وعرَفنا ذلك من السياق القرآني المحيط بكل مشتق من

مشتقّات الجذر (و ، ل ، ي) .. ففي الآية الأخيرة نرى أنّ الله تعالى يقول ﴿ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَۚ ﴾ ، فالمنهي عنه هو اتّباع الكافرين من دون المؤمنين في هذه المسألة المحدَّدة ..

.. ولننظر في قوله تعالى ..

﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة : ٧١]

.. فولاية المؤمنين لبعضهم بعضاً هي أمرٌ يأمرنا الله تعالى به ، وذلك في مسألة محدَّدة يبيّنها الله تعالى ﴿ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ ﴾ ، وهذه الولاية التي يأمر الله تعالى بها هي لمواجهة ولاية الكافرين لبعضهم بعضاً ..... فهذه الولاية بين المؤمنين لا بدَّ منها في مواجهة ولاية الكافرين لبعضهم بعضاً ، وإلاّ ستكون هناك فتنة وفساد .. يقول تعالى مبيّناً ذلك ..

﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴾ [الأنفال : ٧٣]

.. ولكن .. في مسألة أخرى هي القرب من الله تعالى ، كعلاقة بين الإنسان وبين الله سبحانه وتعالى ، تتغيَّر حدود هذه الولاية ، لتكون لله تعالى فقط وفقط لا غير ..

﴿ وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ [الأنعام : ٥١]

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۚ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ [التوبة : ١١٦]

﴿ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ [العنكبوت : ٢٢]

﴿ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ [الأعراف : ٣]

﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا ۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ ۖ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴾ [العنكبوت : ٤١]

.. إذاً .. لكلٍّ ولاية حدودها .. ونعرف ذلك من السياق القرآني المحيط بها .. فالإنسان ذاته تحيط به مجموعة من دوائر الولاية ..

- منها ما هو مأمورٌ بها ، كولاية المؤمنين لبعضهم في مواجهة الكافرين ، وكولاية الآباء في الأمور التي لا تبعد عن منهج الله تعالى ..
- ومنها ما هو منهيٌّ عنها ، كاتّخاذ أولياء من دون الله تعالى .. فعلاقة الإنسان مع خالقه جلّ وعلا هي دون وسيط ، وعليه ألاّ يتخذ من دون الله ولياً ، كما رأينا ..
- ومنها ولاية لا علاقة لها بالإيمان بالله تعالى وبالكفر به جلّ وعلا ، كولاية علميّة في تعلّم حرفة أو علم دنيوي محدَّد ..

والولاية التي في الآية الكريمة التي نحن بصدد دراستها : ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [المائدة : ٥١] ، هي ولاية اتّباع عقدي نرتدُّ بها عن منهج الله تعالى ، وهي ناتجة عن مسارعة فيهم خشية وخوفاً ، وكلُّ ذلك

يؤدّي إلى الارتداد عن منهج الحق .. وهذا ما نراه جليّاً في السياق القرآني التالي لهذه الآية الكريمة ..

﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٥١ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمۡ يَقُولُونَ نَخۡشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٞۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَ بِٱلۡفَتۡحِ أَوۡ أَمۡرٖ مِّنۡ عِندِهِۦ فَيُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ نَٰدِمِينَ ٥٢ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ إِنَّهُمۡ لَمَعَكُمۡۚ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فَأَصۡبَحُواْ خَٰسِرِينَ ٥٣ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ٥٤ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمۡ رَٰكِعُونَ ٥٥ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ ﴾ [المائدة : ٥١ – ٥٦]

.. هل وقف هؤلاء المطبِّلون والمزمِّرون بمحاربة الدولة المدنيّة الحرّة ((التي تُصان فيها كلُّ الحقوق الدِّينيّة والمذهبيّة والطائفيّة)) لصالح دولة تاريخيّة لا علاقة للقرآن الكريم بها لا من قريب ولا من بعيد ، هل وقف هؤلاء عند كلمة ﴿ ٱلۡيَهُودَ ﴾ في العبارة القرآنيّة ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ ﴾ ؟!!! ، وهل وقفوا عند كلمة ﴿ ٱلنَّصَٰرَىٰٓ ﴾ ؟!!! .. وهل وعى هؤلاء وبعد

أربعة عشر قرناً من نزول القرآن الكريم الفارق بين مصطلح ﴿ ٱلْيَهُود ﴾ في القرآن الكريم وبين التعبير القرآني ﴿ ٱلَّذِينَ هَادُواْ ﴾ ؟!!! .. وهل وعى هؤلاء بعد أربعة عشر قرناً من نزول النصِّ القرآني الفارق بين ما تصفه كلمة ﴿ ٱلنَّصَـٰرَىٰ ﴾ في القرآن الكريم ، وبين ما تصفه العبارة القرآنيّة ﴿ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَـٰرَىٰٓ ﴾ ؟!!! .. وهل وعى هؤلاء الفارق بين ما تعنيه العبارة القرآنيّة ﴿ أَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ ﴾ وبين ما تعنيه العبارة القرآنيّة ﴿ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَـٰبَ ﴾ ؟!!! ..... ولماذا وردت كلمتا ﴿ ٱلْيَهُود ﴾ وَ ﴿ ٱلنَّصَـٰرَىٰ ﴾ دون غيرهما في هذه العبارة القرآنيّة ﴿ ۞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَـٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ﴾ ؟!!! ..

.. وفي هذا السياق لا أودّ التوسّع في شرح الفوارق بين هذه المصطلحات القرآنيّة ، فلكلِّ مصطلحٍ منها حدوده من الدلالات ، وقد بيّنتها بشكلٍ جليٍّ في النظريّة السادسة (سلّم الخلاص) ..

إنَّ ورود كلمتي ﴿ ٱلْيَهُود ﴾ وَ ﴿ ٱلنَّصَـٰرَىٰ ﴾ دون أيِّ صيغة أُخرى في قوله تعالى ﴿ ۞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَـٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ﴾ ليس عبثاً ، هذا بالإضافة لما رأيناه في السياق اللاحق لهذه العبارة القرآنيّة ..... فالولاية المنهي عنها لا علاقة لها لا من قريب ولا من بعيد بالشراكة السياسيّة والاجتماعيّة ضمن إطار دولة مدنيّة حرّة تُحفَظ فيها كُلُّ الحقوق ، وللجميع ..

لذلك فالاستشهاد بهذه الآية الكريمة على أمور سياسيّة أو اجتماعيّة ، لمحاربة الدولة المدنيّة الحرّة التي تُحفَظ فيها حريّة المعتقد في المجتمع المدنيِّ الحرّ ، هو استشهادٌ باطل ... وإلاّ كيف نفهم قول الله تعالى ﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَـٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ

﴿ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَرِكُمْ وَظَٰهَرُواْ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [الممتحنة : ٨ – ٩] ..

.. أليس البرّ والقسط هما مسألة تفاعل فيها الودّ والمحبّة والعمل المشترك في الدنيا ، في إطار مجتمعٍ إنسانيٍّ مدنيٍّ حرٍّ ؟ .. أليس العمل السياسي في إطار الوطن الواحد بين جميع مكوِّنات المجتمع على اختلافاتها الدِّينيّة والمذهبيّة والطائفيّة ، أليس معنيّاً بما يأمر الله تعالى به من برٍّ وقسطٍ في الآيتين السابقتين ؟ ..

.. والغريب في الداعين إلى دولة تاريخيّة مذهبيّة ضيّقة الأفق يطلقون عليها اسم الدولة الدِّينيّة ، وذلك حسب معاييرهم الخاصّة المسجونة في أُطر عصبيّاتهم ، مستشهدين على ما يذهبون بقوله تعالى ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ ﴾ .. الغريب أنّهم يتولّون الآخرين (الذين يعتبروهم كفّاراً) في معظم مناحي حياتهم الدنيويّة ، وهؤلاء الآخرون موجودون في أوطان أُخرى .. فمعظم العلوم من الطب إلى الهندسة إلى الإلكترونيّات إلى ..... ، ومعظم المنتجات الحضاريّة من الهاتف إلى السيارة إلى ..... يأخذونها من أولئك الآخرين الموجودين في أوطان أُخرى .. وهم بذلك يتّخذونهم أولياء في هذه المسائل الدنيويّة ، بل ويلهثون خلفهم متلقّفين ما يرميه الآخرون لهم من فتات الحضارة ..

وهنا نرى تناقضاً غريباً يبيّن حقيقة العقم الفكري عند هؤلاء .. فإذا كان التعامل الحضاري مع الآخرين ذوي معتقد آخر (في أوطان أُخرى) مسموحاً ، بل ويقتاتون على الفضلات الحضاريّة لأولئك الآخرين والتي تُلقى من مزابلهم في أوطان أُخرى ، فكيف إذاً لا تجوز – عندهم – الشراكة السياسيّة مع أبناء وطنهم معتنقي معتقد هؤلاء الآخرين ؟!!! ..

وإن قالوا : هذه أمور دنيويّة لا علاقة لها بالعقيدة ، وبالتالي فأمور الدنيا لها استقلاليّتها عن أمور الآخرة .. نقول لهم : كلامكم الصحيح هذا يؤدّي إلى دولة مدنيّة حرّة يتمُّ فيها فصل الدِّين عن السياسة ، فلماذا تحاربون هذه الدولة المدنيّة الحرّة ؟!!! ..

مشكلة هؤلاء مركّبة ، فهم من جهة لا يدركون حقيقة دلالات كتاب الله تعالى ، ومن جهةٍ أُخرى لا يريدون الحقيقة حتى لو وُضعت بين أيديهم ، لأنَّ عصبيّتهم تمنعهم من امتلاك إرادة البحث عن الحقيقة ..

.. ولو أخذنا النصَّ التالي من كتاب الله تعالى ، لرأينا في فهمهم الخاطئ لدلالاته عصبيّةً مسبوكةً بقوالب مذاهبهم وطوائفهم واحتكارهم للخلاص وعدم قبولهم للآخر ، فقط لأنّه آخر ..

﴿ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ٣٣ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِن قَبۡلِ أَن تَقۡدِرُواْ عَلَيۡهِمۡۖ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾ [المائدة : ٣٣ – ٣٤]

.. فالعبارة القرآنيّة ﴿ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا ﴾ ، تشمل كلَّ الموصوفين بهاتين الصفتين ، سواءٌ كانوا مسلمين ، أو غيرَ مسلمين ، وفي كلمة ﴿ يُحَارِبُونَ ﴾ نرى دلالات الحرب على كلِّ القيم النبيلة التي فطر الله تعالى الناس عليها ، وعلى كلِّ القيم النبيلة التي جاء بها منهج الرسالة الذي أنزله الله تعالى على رسوله ﷺ ، وهذا ما يتجلّى في دلالات العبارة القرآنيّة ﴿ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا ﴾ ، فكلُّ ما هو ليس نافعاً وكلُّ ما يضرُّ بالإنسان وقيمه هو فاسد ..

وفي تَكرار كلمة ﴿ أو ﴾ بين حالات الجزاء في قوله تعالى : ﴿ أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِ ﴾ في ذلكَ بيانٌ في اختلاف الأحكام التي يستحقّهُا هؤلاء كَجَزَاءٍ على جناياتِهم ، وذلك حسب جناية كُلٍّ منهم ... وبالتالي فنحن أمام جناياتٍ مُتعدّدة ، جزاؤها بدرجاتٍ مختلفة ..... وقوله تعالى .. ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِن قَبۡلِ أَن تَقۡدِرُواْ عَلَيۡهِمۡۖ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾ ، يُؤكّد لنا أنّنا أمام جناياتٍ غُفْرَانُها يحتاج إلى توبة ، وجزاؤها المُبيَّن في هذا النصِّ القرآنيِّ ، لا يَسْقُط إلاّ بتوبة الجاني قبل أن يُقْدَر عليه ..

فالعبارة القرآنيّة ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِن قَبۡلِ أَن تَقۡدِرُواْ عَلَيۡهِمۡۖ ﴾ ، تؤكّد أنّه هناك جنايات بحاجة لتوبة ، وذلك قبل وقوع الجاني تحت قبضة العدالة لِيُؤخَذ الجزاء منه على جنايته .. وهذه الجنايات هي اغتصاب حقوق الآخرين في الدنيا ، وليست ارتداداً عن معتقد ، أو ما يتعلّق بين الإنسان مع خالقه جلّ وعلا دون حقوق الآخرين من البشر .. ففي علاقة الإنسان مع الله تعالى لا إكراه أبداً ، وحريّة المعتقد مطلبٌ قرآنيٌّ بيِّنٌ لا يجحده إلاّ كلُّ فاقدٍ للبصيرة ..

.. والآية الكريمة التالية تلقي الضّوء على هذه الحقيقة ..

﴿ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلۡحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعۡطُواْ ٱلۡجِزۡيَةَ عَن يَدٖ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ ﴾ [التوبة : ٢٩]

.. في هذه الآية الكريمة نرى ورود عبارة ﴿ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ ﴾ ، دون عبارةِ ﴿ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ ﴾ .. فعبارة ﴿ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ ﴾ مُصطلحٌ قرآنيٌّ خاصٌّ بمتّبعي رسالتي موسى وعيسى عليهما السلام .. بينما المصطلحُ القرآنيُّ ﴿ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ

﴿ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ يشمل أهل الكتاب والمسلمين ، وذلك حسب السياق القرآنيِّ المُحيط بهذه العبارة .. وفي العبارات القرآنيّة التالية دليلٌ على ذلك ..

﴿ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَذًى كَثِيرًا ﴾ [آل عمران : ١٨٦]

﴿ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ﴾ [النساء : ١٣١]

﴿ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ ﴾ [المائدة : ٥]

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَٱلْكُفَّارَ أَوْلِيَآءَ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [المائدة : ٥٧]

.. فورود العبارة القرآنيّة ﴿ مِن قَبْلِكُمْ ﴾ خلف العبارة القرآنيّة ﴿ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ ، دليلٌ على أنّنا (كمسلمين) من الذين أوتوا الكتاب .. والعبارة القرآنيّة ﴿ مِن قَبْلِكُمْ ﴾ هي للإشارة إلى أهل الكتاب تخصيصاً لهم من جملة المعنيين بالعبارة القرآنية ﴿ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ ، التي تشمَلُنَا وتشمَلُهُم ..

.. إذاً قوله تعالى ﴿ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ ليست خاصّةً بأهل الكتاب كما تذهب تفاسيرنا التاريخية .. والعبارة القرآنيّة ﴿ حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴾ ، تبيِّن لنا الهدف الذي من أجله يأمرُنا الله تعالى بمقاتلة المعنيين في هذه الآية الكريمة .. وهذا ينفي تماماً مفهوم الجزية بمعنى دفع الأموال بدلاً عن اعتناق الدِّين ، أي بمعنى الخيار الآخر لاعتناق الإسلام ..

.. فالله تعالى لم يقل .. ((قَاتِلُوا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُؤمنوا أو يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ)) .. فالجزية حصراً هي هدفُ القتال ، حيث ينتهي القتال حينما ﴿ يُعْطُواْ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴾ ..

.. وبالتالي يكون معنى العبارة القرآنيّة : ﴿ حَتَّىٰ يُعْطُواْ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴾ .. هو : حتى ينصاعَ أصحابُ تلك الجنايات إلى الجزاء المُقابل لِجنَاياتِهم ، وهم أذلاء منصاعون لما حرّمه الله تعالى ورسوله ﷺ ..

.. وفي العطف بين العبارات القرآنيّة المشيرة إلى صفات أصحاب تلك الجنايات .. ﴿ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ بيانٌ إلى أنَّ قتال هؤلاء يكون حينما يتَّصفون بجميع تلك الصّفات ، ومن هذه الصفات ﴿ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ﴾ .. وهذا يؤكِّدُ أنَّ المسألةَ مسألةُ جناياتٍ وحقوقٍ مُستحقّة ، فأصحاب الرسالات الأُخرى ليسوا مُلزَمين باتّباع الخصوصيّات التي حرَّمَها الرسول ﷺ على المسلمين ..

.. فالآية الكريمة إذاً تعني أصحاب الجنايات الذين لم ينصاعوا للأحكام التي ترتَّبتْ عليهم نتيجة جناياتِهم تلك ، وذلك من المسلمين أو من أهل الكتاب داخل مجتمع الدولة ، الذين لهم ما لها وعليهم ما عليها ، وكذلك لكلِّ من هو متعلِّق مع أبناء هذه الدولة بعقدٍ اجتماعيٍّ سياسيٍّ يجعل منه شريكاً كاملاً في إطار هذه الدولة ..

فالعصبيّات التي تملأ نفوس الذين يريدون إلغاء الآخر ويتّهمونه بأنَّه من درجة ثانية ويجب فرض الدِّين عليه قسراً ، يستشهدون بهذه الآيات الكريمة ، التي لا تحمل ما يذهبون إليه لا من قريب ولا من بعيد ..

في مجتمعٍ مدنيٍّ حرٍّ تُحْفَظ فيه الحقوق الدِّينيّة والمذهبيّة والطائفيّة لكلِّ أبنائه ، لا يتمّ فيه الاقتتال في الدِّين ولا الإخراج من الديار ، ولا يظاهر فيه أحدٌ بإخراج أحدٍ من دياره ، في هذا المجتمع يأمر الله تعالى بأن تكون المعاملات الدنيويّة (سياسيّة ، اجتماعيّة ، ثقافيّة ، .....) بالبرِّ والقسط ، وفي ذلك ضمانٌ للجميع ، وحريّة متوازنة ومسؤولة تنتج ثقافة قبول الآخر ، وبالتالي نفي ثقافة الإكراه والإقصاء ..

.. وفي هكذا مجتمعٍ مدنيٍّ حرٍّ تُصان فيه الحريّات الدِّينيّة والمذهبيّة والطائفيّة ، يكون الحقُّ المنتصِرَ الأكبر فيه .. وهذا ما نقرؤه في قوله تعالى ..

﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ ﴾ [البقرة : ٢٥٦]

.. فعندما تُلغى سياسة الإكراه وثقافة الإقصاء وعدم قبول الآخر ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ ﴾ ، حين ذلك يتبيّن الرشد من الغي ﴿ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ ﴾ .. بمعنى أنَّه بوجود مجتمعٍ مدنيٍّ حرٍّ لا إكراه فيه ولا إقصاء ، يظهر الحقُّ جليّاً فنرى الرشد رشداً والغيَّ غيّاً .. وكلُّ ذلك لصالح منهج الحقِّ الذي يريده الله تعالى ..

بينما في مجتمع الإكراه والإقصاء حيث ثقافة التكفير وإلغاء الآخر ، تختلط الأمور فنرى – نتيجة لذلك – الرشد غيّاً والغيَّ رشداً .. هذا ما ينطق به قول الله تعالى ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ ﴾ ..

.. لذلك .. فالذين يستشهدون بقوله تعالى ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [المائدة : ٥١] على محاربة النظام السياسي المدنيِّ الحرّ ، الذي تُصان فيه حريّة المعتقد لجميع مكوِّنات المجتمع على اختلافاتها الدِّينيّة والمذهبيّة والطائفيّة والفكريّة والسياسيّة ، والذي يتمّ فيه الاحتكام لصناديق الاقتراع بغض النظر

عن هذه الانتماءات المختلفة بين أبناء المجتمع .. هذا الاستشهاد بهذه الآية الكريمة على محاربة النظام السياسيِّ المدنيِّ الحرِّ ، ناتجٌ عن جهلٍ كبير بحقيقة دلالات هذه الآية الكريمة ، وبحقيقة روح الأحكام التي يحملها كتاب الله تعالى ، وناتجٌ عن فكرٍ ظلاميٍّ إقصائيٍّ يريد فرض خصوصيّاته على الآخرين بالقوّة .. وكلُّ ذلك ينهى الله تعالى عنه في كتابه الكريم .. يقول تعالى ..

﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴾ [يونس : ٩٩]

﴿ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ ﴾ [الكهف : ٢٩]

.. وقوله تعالى في الآية الأخيرة ﴿ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ ﴾ ، واضح وصريح في صون حريّة المعتقد للإنسان ، وأنَّ الإنسان حرٌّ في اختيار معتقده مسلماً كان أو غير مسلم ..... وهنا ندخل على موضوع المرتد .. فالمرتدُّ في الإسلام لا عقوبة دنيويّة عليه ، وعقوبته في الآخرة .. لقد وردت هذه المسألة (بصيغة الارتداد) في ثلاثة نصوص قرآنيّة ..

﴿ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ [البقرة : ٢١٧]

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ﴾ [المائدة : ٥٤]

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرْتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدْبَـٰرِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَى ٱلشَّيْطَـٰنُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ لِلَّذِينَ كَرِهُواْ مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِى بَعْضِ ٱلْأَمْرِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ﴿٢٦﴾ فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَـٰرَهُمْ ﴿٢٧﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُواْ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُواْ رِضْوَٰنَهُۥ فَأَحْبَطَ أَعْمَـٰلَهُمْ ﴾ [محمد : ٢٥ – ٢٨]

.. العقوبة في كتاب الله تعالى للمرتد هي في الآخرة وليس في الدنيا .. هذا ما ينطق به كتاب الله تعالى .. وهذا ما قرأناه من قوله تعالى ﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ﴾ [البقرة : ٢٥٦] ، ومن قوله تعالى ﴿ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾ ..... أليست العبارة القرآنيّة ﴿ وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾ واضحة وصريحة بأنّها تعني الانتقال من ساحة الإيمان إلى ساحة الكفر .. أليست العبارات القرآنيّة التالية لها واضحة وصريحة في أنّ العقوبة المترتبة على هذا الارتداد هي عقوبة في الآخرة وليس في الدنيا ..

﴿ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّـٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴾ [الكهف : ٢٩]

أليس قوله تعالى ﴿ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ ﴾ واضحاً وجليّاً في وصف من يرتدّ ارتداداً يستمرّ عليه حتى خروجه من الدنيا كافراً ؟ .. أليست العبارات التالية لهذه العبارة القرآنيّة تبيّن عقوبةً جزاؤها في الآخرة ..

﴿ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ [البقرة : ٢١٧]

.. كتاب الله تعالى واضحٌ وصريحٌ وجليٌّ في صون حريّة المعتقد للجميع ، وواضحٌ وصريحٌ وجليٌّ في عدم النهي عن معاملة الآخرين بالبرِّ والقسط شريطة عدم مقاتلتنا في ديننا وإخراجنا من ديارنا ، وكلُّ ذلك يؤدِّي إلى أنَّ الدولة المدنيّة الحرّة التي تُصان فيها حقوق جميع أبناء المجتمع من انتماءات دينيّة ومذهبيّة وطائفيّة ، هي الدولة الأقرب ما تكون للدولة التي نستشفُّ صورتَها من كتاب الله تعالى ..

الذين يريدون المتاجرة بالدِّين لصالح أهوائهم المذهبيّة والطائفيّة الضيّقة ، الذين يُلغون الآخرين ويقصونهم باسم الدِّين ، إنّما يتمثَّلون قول طائفة من أهل الكتاب حينما قالوا ﴿ وَلَا تُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ ﴾ .. فالتقوقع في مستنقعات الخصوصيّات الضيّقة التي هي في أصلها عصبيّات ما أنزل الله تعالى بها من سلطان ، هو مقدّمة ونتيجة في الوقت ذاته لإقصاء الآخرين فكريّاً ، ومن ثمّ سياسيّاً ..

﴿ وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ءَامِنُوا۟ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكْفُرُوٓا۟ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَا تُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ أَن يُؤْتَىٰٓ أَحَدٌ مِّثْلَ مَآ أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَآجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [آل عمران : ٧٢ – ٧٣]

.. فالذين يستشهدون بقوله تعالى ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [المائدة : ٥١] ، على محاربة النظام السياسيِّ المدنيِّ الحرِّ الذي لا فارق فيه – سياسيا ووطنيّاً – بين مواطن وآخر ، وعلى احتكار السياسة في

أيِّ وطن لخصوصيّة دينيّة أو مذهبيّة أو طائفيّة ما ، هؤلاء لا يختلفون عن الطائفة من أهل الكتاب الذين قالوا ﴿ وَلَا تُؤۡمِنُوٓاْ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمۡ ﴾ ..

.. في دولةٍ شموليّةٍ مذهبيّاً وطائفيّاً تتاجر بالدِّين لحساب عصبيّات مسبقة الصنع ، لا يمكن أن يتحقَّق فيها أمان ، ولا طمأنينة ، ولا استقرار اجتماعي أو سياسي أو ثقافي أو اقتصادي ، مهما كثرت الكلمات المعسولة بطمأنة الآخرين ، لأنَّ استدعاء الروايات التي ما أنزل الله تعالى بها من سلطان والتي يتمّ وفقها إقصاء الآخر وربّما قتله ، أمرٌ واردٌ في كلِّ لحظة ..

.. ومسألة الحكم بما أنزل الله تعالى هي مسألة لا يشكُّ بها أيُّ إنسانٍ يؤمن بكتاب الله تعالى (القرآن الكريم) ، فقد وردت بشكلٍ بيِّنٍ في عدَّة نصوص .. ولكنَّ التلبيس على أحكام هذه النصوص من قِبَل الداعين لدولتهم التاريخيّة التي يسمّونها (ظلماً وعدواناً) بالدولة الدِّينيّة ، يتجلَّى في إخراج دلالات هذه النصوص عن سياقاتها القرآنيّة المحيطة بها ، وفي تلبيسها دلالات لا علاقة لها بالصياغة اللغويّة التي صيغت بها هذه النصوص ..

.. والحكم بما أنزل الله تعالى هو أمرٌ للمؤمنين بأنَّ هذه الأحكام من عند الله تعالى ، وأنَّ الله تعالى يأمرهم بتطبيقها في حياتهم الشخصيّة تقرّباً إلى الله تعالى ، وتجسيداً لحقيقة إيمانهم بها .. وكلُّ ذلك في سلوكهم وتفاعلهم الشخصي في مختلف مناحي حياتهم ، ومن لا يطبِّق هذه الأحكام على نفسه فقد جحد حقيقة هذه الأحكام ، وجزاؤه (إن لم يرتكب جنايات بحقِّ الآخرين) عند الله تعالى ..

ولننظر في النصِّ التالي الذي تتناول دلالاتُه أصحابَ الرسالات السماويّة الثلاث ..

﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَا ٱلتَّوۡرَىٰةَ فِيهَا هُدٗى وَنُورٞۚ يَحۡكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسۡلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلۡأَحۡبَارُ بِمَا ٱسۡتُحۡفِظُواْ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ عَلَيۡهِ شُهَدَآءَۚ فَلَا

تَخْشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُواْ بِـَٔايَـٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ ۚ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿٤٥﴾ وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾ وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴿٤٧﴾ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَـٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾ وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَـٰسِقُونَ ﴿٤٩﴾ أَفَحُكْمَ ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ [المائدة : ٤٤ – ٥٠]

.. نحن نؤمن إيماناً كاملاً أنَّ دلالات العبارة القرآنيّة ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾ مطلقة وصالحة لكلِّ زمانٍ ومكان ، وتعنينا نحن كمسلمين ،

على الرغم من ورودها ضمن سياق قرآني يتحدَّث عن التوراة ، فكلُّ من لا يحكم بما أنزل الله تعالى هو كافر بذلك .. وأيضاً العبارة القرآنيّة ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ ، فكلُّ من لا يحكم بما أنزل الله تعالى هو ظالم .. ونؤمن إيماناً كاملاً أنَّ دلالات العبارة القرآنيّة ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ مطلقة وصالحة لكلِّ زمانٍ ومكان وتعنينا كمسلمين ، على الرغم من أنَّها ترد ضمن سياقٍ قرآنيٍّ يتحدَّث عن الإنجيل ، فكلُّ من لا يحكم بما أنزل الله تعالى هو فاسق .. ومن الطبيعي أن تعنينا العبارة القرآنيّة ﴿ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ﴾ التي هي ضمن سياقٍ قرآنيٍّ يتحدَّث عن القرآن الكريم ، وكذلك العبارة القرآنيّة ﴿ وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ﴾ ، وكذلك العبارة القرآنيّة ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ ..

.. لكن .. ما نراه في هذه العبارات القرآنيّة أنَّه لا تُوجَد إشارة لرفع السيف في وجه من لا يريد الحكم بما أنزل الله تعالى ، ولا يُوجَد تكليفٌ لأحدٍ بذلك .. وتنوّع البشر في معتقداتهم وأفكارهم وثقافاتهم ليس مشكلةً تُعجز الله تعالى عن ذلك علوّاً كبيراً لدرجة يُكلِّف بها المتطرِّفين لإلغاء هذا التنوّع ، كما يتخيّل المطبِّلون والمزمِّرون لدولتهم التاريخيّة .. أبداً .. إنَّ هذا التنوّع يريده الله تعالى لاختبار البشر فيما آتاهم ، وهذا ما يبيّنه الله تعالى لنا في هذا النصِّ الكريم ذاته ﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ﴾ ..

هذا كلُّه في علاقة الإنسان مع الله تعالى ، فالأمر الإلهي بالحكم بما أنزله الله تعالى يتعلّق بأحكام كتابه الكريم التي يتعبّد بها المؤمن بهذا الكتاب .. فمثلاً .. من لم يطبِّق

على نفسه حدود الله تعالى في مسألة الطلاق ، لم يحكم بما أنزل الله تعالى ، لأنّه – بذلك – تعدَّى حدود الله تعالى ..

﴿ ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِ ۖ فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٍ ۗ وَلَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَأۡخُذُواْ مِمَّآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ شَيۡـًٔا إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ ۖ فَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَا فِيمَا ٱفۡتَدَتۡ بِهِۦ ۗ تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعۡتَدُوهَا ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [البقرة : ٢٢٩]

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحۡصُواْ ٱلۡعِدَّةَ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ رَبَّكُمۡ ۖ لَا تُخۡرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخۡرُجۡنَ إِلَّآ أَن يَأۡتِينَ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖ ۚ وَتِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدۡ ظَلَمَ نَفۡسَهُۥ ۚ لَا تَدۡرِي لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحۡدِثُ بَعۡدَ ذَٰلِكَ أَمۡرٗا ﴾ [الطلاق : ١]

.. هذا مثال للحكم بما أنزل الله تعالى من أحكام ، ومن لم يطبِّق على نفسه أحكام كتاب الله تعالى متعدّياً حدود هذه الأحكام [[﴿ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ ﴾ ، ﴿ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ ﴾]] من يفعل ذلك جزاؤه عند الله تعالى [[﴿ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ ، ﴿ فَقَدۡ ظَلَمَ نَفۡسَهُۥ ﴾]] ..

فأحكام الطلاق هي من حدود الله تعالى ، والعلاقة فيها هي بين الإنسان وبين ربّه جلَّ وعلا ، وجزاء من يتعدَّى هذه الحدود هو عند الله تعالى ، ما لم تترتَّب على هذا التعدّي حقوقٌ لأناس آخرين ..

.. وأحكام الصيام هي حدود الله تعالى ، ومن لم يحكم بها (ممّن يؤمنون بكون كتاب الله تعالى حقّاً) يُعَدُّ كافراً بها وظالماً وفاسقاً ..

﴿ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ ۚ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ۗ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ ۖ فَٱلْـَٰٔنَ بَـٰشِرُوهُنَّ وَٱبْتَغُوا۟ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۚ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ۖ ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ ۚ وَلَا تُبَـٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَـٰكِفُونَ فِى ٱلْمَسَـٰجِدِ ۗ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَـٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ [البقرة : ١٨٧]

.. ومن لم يحكم بما أنزل الله تعالى (في مسألة الصيام) متعدِّياً حدود هذه الأحكام ، عقوبته عند الله تعالى ، وليس عند المتطرِّفين .. فلا تُوجد إشارة في كتاب الله تعالى لأيِّ عقوبة دنيويّة عليه ، فهذه مسألة تتعلَّق بإيمانه وبطاعته لله تعالى ، وما لم يُؤثِّر – عدم التزامه بهذه الأحكام – شيئاً في حقوق غيره من البشر ، فجزاؤه على الله تعالى ..

وأحكام الميراث هي من الأحكام التي أنزلها الله تعالى وأمر المؤمنين باتّباعها ، وبعد عرض هذه الأحكام التي هي حدود الله تعالى ، يبيّن الله تعالى لنا الجزاء للملتزم بهذه الأحكام ، وللعاصي ..

﴿ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَـٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾ [النساء : ١٣ – ١٤]

.. وكذلك الأمر في مسألة الظهار ..

﴿ وَٱلَّذِينَ يُظَـٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا۟ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ۚ ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٣﴾ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ

شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ۖ فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ۚ ذَٰلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ۚ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ ۗ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [المجادلة : ٣ – ٤]

.. ونحن لا ندعو إلى عدم وضع هذه الأحكام (كأحكام الميراث) في قوانين الدولة المدنيّة الحرّة .. أبداً .. أبداً .. أبداً .. فبالتأكيد أنَّ المؤمنين بكتاب الله تعالى يريدون الانصياع لأحكامه ، وفي الدولة المدنيّة الحرّة يُوضَع الدستور والتشريعات بعد موافقة المواطنين عليها ، وتُؤخَذ فيها الخصوصيّات المذهبيّة والطائفيّة والدِّينيّة لكلِّ مكوِّنات المجتمع ، وبالتأكيد أنَّ المواطنين المؤمنين بكتاب الله تعالى سيختارون ما يتناسب مع إيمانهم ..

.. ما ندعو إليه هو عدم فرض الأهواء والعصبيّات على الآخرين ، ما ندعو إليه هو عدم جعل روايات التاريخ واجتهادات بعض السابقين حجّة على كتاب الله تعالى ، ما ندعو إليه هو عدم المتاجرة بالدِّين لأجل أهداف سياسيّة ضيّقة .. وكلُّ ذلك – ممّا ندعو إليه – لا يخرج عن كونه تنزيهاً للدِّين الحقّ ، ونأياً به عن شهوات المتسلِّقين المتاجرين بطهارته ونقائه ..

.. في كتاب الله تعالى لا نرى عقوبةً دنيويّةً لكلِّ المسائل المتعلّقة بالعقيدة ، ولا تتجاوز العقوبات الدنيويّة التي ترد في كتاب الله تعالى كونها جزاءً لجنايات تهتك حرمة أعراض الناس وأموالهم ودمائهم ..

لذلك نرى عقوبة الزنا ، وعقوبة الإتيان بالفاحشة ، وعقوبة رمي المحصنات ، وعقوبة السرقة ، وعقوبة الاعتداء على دماء الآخرين ، وعقوبات الاعتداء على حياتهم الشخصيّة ..... وفي كلِّ ذلك تأكيدٌ على حريّة المعتقد ، وأن يختار الإنسان ما يريد في عقيدته حرّاً ، شريطة ألاّ يتعدّى على حريّات الآخرين وحقوقهم .. فالعقوبات الصريحة في كتاب الله تعالى فُرِضَت لحماية الإنسان ، وليس لفرض شيءٍ عليه ، وفي كلِّ ذلك

تتجلّى حكمة الله تعالى في تأمين حريّة الإنسان ليختار دون إكراه ، وذلك من أهم مقتضيات الامتحان العادل للإنسان في حياته الدنيا ..

.. من هذا المبدأ القرآني الواضح الصريح ، نفهم دلالات العبارات القرآنيّة في كتاب الله تعالى التي تبيّن لنا أنَّ الحكم هو لله تعالى ، وليس لأيٍّ غيره ..

﴿ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [يوسف : ٤٠]

﴿ قُلْ إِنِّى عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَكَذَّبْتُم بِهِۦ ۚ مَا عِندِى مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦٓ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ يَقُصُّ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَٰصِلِينَ ﴾ [الأنعام : ٥٧]

﴿ ثُمَّ رُدُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ ۚ أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ ﴾ [الأنعام : ٦٢]

﴿ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [يوسف : ٤٠]

﴿ وَقَالَ يَٰبَنِىَّ لَا تَدْخُلُوا۟ مِنۢ بَابٍ وَٰحِدٍ وَٱدْخُلُوا۟ مِنْ أَبْوَٰبٍ مُّتَفَرِّقَةٍ ۖ وَمَآ أُغْنِى عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۖ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴾ [يوسف : ٦٧]

﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [القصص : ٧٠]

﴿ وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۘ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ۚ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [القصص : ٨٨]

.. في كلِّ هذه المسائل لا نرى إشارةً لما يذهب المطبِّلون والمزمِّرون إليه ، وذلك بفرض تصوّراتهم المتطرّفة (التي تناقض ما جاء به كتاب الله تعالى) على الناس بالقوّة ، تحت شعاراتٍ برّاقة تخطف أبصار السذّج والبسطاء من العوام ، من أجل أهداف سياسيّة بحتة لا علاقة لها بمنهج الله تعالى لا من قريب ولا من بعيد ..

.. وفي سياق هذا البحث لا بدَّ من الوقوف عند قوله تعالى ..

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ [النساء : ٥٩]

.. أحكام هذه الآية الكريمة والتي تحمل أمرين اثنين بالطاعة ، موجَّهةٌ لجملة المؤمنين ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ﴾ ..... وهؤلاء المؤمنون يؤمنون بالله تعالى ، ولذلك يؤمَرون بطاعة الله تعالى ﴿ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ ﴾ .. ويؤمنون بما يحمله الرسول ﷺ من منهج ، وبما يستنبطه أولو النهى والتدبّر والتعقّل والتفكّر (أولوا الأمر) منهم ، ضمن إطار منهج الرسالة الذي أُنزل على الرسول ﷺ .. ولذلك .. يُؤمرون بطاعة الرسول وأولي الأمر منهم : ﴿ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ﴾ ..

.. هذان الأمران الإلهيان هما للمؤمنين فقط بالله تعالى وبما يحمله الرسول ﷺ وبما يستنبطه أولو الأمر من منهج الرسالة ... والعبارة ﴿ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ﴾ لا تعني الحكام كسياسيّين ، فهي تعني أولي النهى والتعقّل والتدبّر ، وذلك ضمن إطار منهج الرسالة ﴿ ٱلرَّسُولَ ﴾ .. ولذلك نرى أنَّ ﴿ ٱلرَّسُولَ ﴾ وَ ﴿ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ ﴾ من المؤمنين

بدليل كلمة ﴿ مِنكُمۖ ﴾ ، جاءا ضمن إطار طاعة واحدة ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۖ ﴾ ..

فطاعة أولي الأمر بمعنى أولي النهى والعقل والتدبّر ليست منفصلة عن طاعة الرسول ، بمعنى ليست منفصلة عن منهج الرسالة الذي أنزله الله تعالى ، ولذلك ترد طاعة واحدة مشتركة لهذين الأمرين ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۖ ﴾ .. وفي ذلك دليلٌ على التحام هذين الأمرين بمشترك هو منهج الرسالة ، وبالتالي فالمسألة ليست سياسيّة أبداً ، المسألة فكريّة تتعلّق بالبحث والاستنباط من منهج الرسالة ، والمطالَب باتّباع ذلك هم جملة المؤمنين بمنهج الرسالة ..

وممّا يؤكّد أنّ العبارة ﴿ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۖ ﴾ لا تعني الحكّام السياسيّين كما يذهب الكثيرون جرياً وراء الموروث ، هو قوله تعالى ﴿ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴾ ، فردُّ الأمر المتنازع فيه إلى الفطرة النقيّة التي فطر الله تعالى الناس عليها في تفاعلها مع منهج الرسالة ﴿ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ ﴾ هو من أجل الوصول إلى الخير ﴿ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ ﴾ وإلى أحسن تأويل فيما تمّ التنازع الفكري حوله ﴿ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴾ .. فالمسألة مسألة خلاف فكري في التأويل ، وليست مسألة حكم سياسي ..

.. من هنا قلنا إنّ العبارة القرآنيّة ﴿ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۖ ﴾ تعني أولي النهى والتعقّل والتدبّر ، ولا علاقة لها بالحكّام السياسيّين لا من قريب ولا من بعيد ، إلاّ في كونهم متدبِّرين مستنبطين للحقِّ باحثين عنه في كتاب الله تعالى ..

.. ومع كلِّ ذلك .. لا نرى عقاباً دنيويّاً لمن لا يلتزم بهذه الطاعة ، فالقضيّة تتعلّق بإيمان الإنسان ، وهي بينه وبين الله تعالى ، والأحكام الدنيويّة مبنيّة على ظاهر ما يرتكبه الإنسان من مخالفات مع الآخرين وجرائم في المجتمع ..

من هنا نرى أنَّ المتاجرة بآيات الله تعالى لأغراض سياسيّة رخيصة ، هي من جهة تسيء لمنهج الله تعالى بوضعه سلَّماً للمكاسب السياسيّة ومادّةً للتجارة فيه ، ومن جهة أُخرى تسيء لمنهج الله تعالى كون هذه المتاجرة تقدِّم للآخرين الفهمَ الخاطئ للدِّين على أنَّ هذا الفهم الخاطئ هو عين منهج الله تعالى ومراده ..

.. والروايات الملفّقة على النبيِّ ﷺ فيما يسمَّى بالصحاح وغيرها ، عند السنّة والشيعة على حدٍّ سواء ، والتي تدعو لاحتكار الخلاص وقتل الآخر أو تكفيره أو جعله بدرجة دنيا ، هي – للأسف – كثيرة ، وكثيرة جداً ..... فقد لُفِّق على الرسول ﷺ في (صحيح البخاري حديث : ٢٧٩٤ حسب ترقيم العالميّة) بأنَّه قال : [مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ] .. ولفِّق عليه ﷺ في (صحيح مسلم حديث ٣١٧٥ حسب ترقيم العالميّة) أنّه قال : [لا يحلّ دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلاّ الله وأنّي رسول الله إلاّ بإحدى ثلاث الثيّب الزاني والنفس بالنفس والتارك لدينه المفارق للجماعة] .. ولُفِّق عليه ﷺ في (سنن النسائي حديث ٣٩٥٣ حسب ترقيم العالميّة) أنّه قال : [لا يحلّ دم امرئ مسلم إلاّ بإحدى ثلاث رجل كفر بعد إسلامه أو زنى بعد إحصانه أو قتل نفساً بغير نفس] .. ولُفِّق عليه ﷺ في (مسند أحمد حديث ٤٢٣ حسب ترقيم العالميّة) أنّه قال : [لا يحلّ دم امرئ مسلم إلاّ بإحدى ثلاث رجل زنى بعد إحصانه فعليه الرجم أو قتل عمداً فعليه القَود أو ارتدّ بعد إسلامه فعليه القتل] ..

.. وكنّا قد بيّنا أنَّ العبارة القرآنيّة ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِ ﴾ واضحة وصريحة بأنَّه لا يحقّ الجبر ولا القسر في مسألة الدِّين ، سواءٌ كان ذلك قبل الدخول في دينٍ مُحَدَّدٍ أم بعد الخروج منه ..

وكلمة ﴿ فِي ﴾ في هذه العبارة القرآنيّة لا تعطيهم الدليل على أنَّ عدم الإكراه في الدِّين ساحته قبل الدخول في الدِّين الإسلامي ، فتخصيص هذه العبارة القرآنيّة بناءً على ذلك ليس صحيحاً ، وهو محاولة لفرض الروايات الموضوعة والأهواء المسبقة الصنع على دلالات كتاب الله تعالى .. فكلمة ﴿ ٱلدِّينِ ﴾ في هذه العبارة القرآنيّة تعني جنس الدِّين ، وليست خاصّةً بالدِّين الإسلامي (الرسالة الخاتمة) دون غيره ، والصورة القرآنيّة التالية تُظهر هذه الحقيقة ..

﴿ ۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ ﴾ [الشورى : ١٣]

.. إنَّ ما وصّى الله تعالى به نوحاً وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام هو من الدِّين ، كما أنَّ ما أوحاه إلى محمّد ﷺ هو من الدِّين ، والعبارة القرآنيّة ﴿ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ ﴾ التي تصوِّر جوهر ما شرعه الله تعالى من الدِّين في هذا النصِّ ، متعلِّقةٌ بكلِّ أولئك الرسل عليهم السلام ، وهذا يؤكِّد أنَّ كلمة ﴿ ٱلدِّينِ ﴾ ليست خاصّة بالدِّين الذي أنزله الله تعالى عبر الرسالة الخاتمة ..

.. والصورة القرآنيّة التالية تؤكّد هذه الحقيقة ..

﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ﴾ [التوبة : ٣٣]

.. فالعبارة القرآنيّة : ﴿ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ﴾ صريحة في أنَّ ما تعنيه كلمة : ﴿ ٱلدِّينِ ﴾ ليست خاصّة بالدِّين الذي أنزله الله تعالى عبر الرسالة الخاتمة .. ولذلك فمن أسماء يوم الآخرة هو ﴿ يَوۡمُ ٱلدِّينِ ﴾ ..

﴿ يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿١٥﴾ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَآئِبِينَ ﴿١٦﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٧﴾ ثُمَّ مَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٨﴾ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا ۖ وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ﴾ [الانفطار : ١٥ – ١٩]

إذاً .. قوله تعالى ﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ ﴾ يعني : لا جبر ولا قسر في مسألة الدِّين ، سواءٌ كان ذلك دخولاً أو خروجاً من أيِّ دين ، والعبارة القرآنيّة ﴿ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ ﴾ [الكهف : ٢٩] ، صريحة في تبيان هذه الحقيقة .. وكذلك الآية الكريمة ﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴾ [يونس : ٩٩] ..

وحتّى لو طلّقنا عقولنا وصدَّقنا أنَّ عدم الإكراه ساحته قبل دخول الدِّين ، وليس بعد دخوله ، فإنَّ هذا التصوّر – غير السليم – تنقضه الرواية الموضوعة التالية التي يقدِّسها معتنقو هذا التصوّر الباطل ..

البخاري (٣٧٩) حسب ترقيم العالميّة :

حَدَّثَنَا ..... قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَإِذَا قَالُوهَا وَصَلَّوْا صَلَاتَنَا وَاسْتَقْبَلُوا قِبْلَتَنَا وَذَبَحُوا ذَبِيحَتَنَا فَقَدْ حَرُمَتْ عَلَيْنَا دِمَاؤُهُمْ وَأَمْوَالُهُمْ إِلَّا بِحَقِّهَا وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ .....

مسلم (٣١) حسب ترقيم العالميّة :

حَدَّثَنَا ..... عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَيُؤْمِنُوا بِي وَبِمَا جِئْتُ بِهِ فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّهَا وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ

هاتان الروايتان الموضوعتان تقولان : أُمر الرسول ﷺ بمقاتلة الناس (كلّ الناس) حتى يؤمنوا بالدِّين الإسلامي الذي أنزله الله تعالى عليه ، وحتى يصلوا صلاتنا ويستقبلوا قبلتنا ويذبحوا ذبيحتنا ، وإلاّ فدماؤهم مهدورة وأموالهم مستباحة .. هذا ما يقرؤه كلُّ عاقل يدرك الحدَّ الأدنى من قواعد اللغة العربيّة ..

وهناك من يحلو له كتلبيس وذرّ للرماد في أعين البسطاء أن يفسِّر كلمة الناس في هذا النصِّ المكذوب والملفَّق على النبيّ ﷺ ظلماً وعدواناً [أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ] بأنّها لا تعني الناس ، إنّما تعني الذين يقاتلوننا ويريدون إخراجنا من ديارنا .. هكذا يحلو لبعضهم أن يهرب من مواجهة حقيقة دلالات هذه الروايات المكذوبة ، فبدلاً من الانصياع للحقِّ والاعتراف أنَّ هذه الروايات مكذوبة وتخالف ما جاء به كتاب الله تعالى ، بدلاً من ذلك يقومون بذرِّ الرماد في أعين الناس انتصاراً لروايات رفعوها إلى مستوى الأصنام ، وجعلوها حجّة حتى على دلالات كتاب الله تعالى ..

..كيف لكلمة [النَّاسَ] ألاّ تعني الناس ؟!!! .. كيف ؟!!! .. أليست كلمة الناس ترد في كتاب الله تعالى وفي عبارة تمنع الرسول ﷺ ذاته من إكراه الناس على الإيمان : ﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴾ ؟!!! ..

.. ولو فرضنا جدلاً أنَّها تعني من يقاتلنا لإخراجنا من ديارنا ، لو فرضنا ذلك جدلاً ، فما علاقة ذلك بالنصوص التالية للعبارة [أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ] في الروايات المكذوبة ، والتي تبيّن سبب القتال المزعوم الذي يفترونه على النبيِّ ﷺ بأنَّه أُمر به ..

[حَتَّى يَقُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَإِذَا قَالُوهَا وَصَلَّوْا صَلَاتَنَا وَاسْتَقْبَلُوا قِبْلَتَنَا وَذَبَحُوا ذَبِيحَتَنَا فَقَدْ حَرُمَتْ عَلَيْنَا دِمَاؤُهُمْ وَأَمْوَالُهُمْ]

[حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَيُؤْمِنُوا بي وَبِمَا جِئْتُ بِهِ فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ]

.. من يقاتلنا لإخراجنا من ديارنا نقاتله لنردعه عن ذلك ، وليس ليذبح ذبيحتنا وليستقبل قبلتنا وليعتنق ديننا .. المشكلة لا تكمن في كون هؤلاء لا يعرفون الحقيقة فحسب ، إنّما المشكلة أيضاً في كونهم لا يملكون إرادة معرفة الحقيقة ، ولا يمتلكون الجرأة على النطق بها .. فمن لا يملك الجرأة على نطق الحقِّ لا يعرف الله تعالى ، لأنَّ الحقَّ اسمٌ من أسماء الله تعالى ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴾ [الحج : ٦٢] ..

.. مشكلتهم أنَّهم يتخيّلون حريّة المعتقد ليست في صالح الإسلام ، وكأنَّ المسلمين يتفلَّتون من الإسلام وينتهزون الفرصة المناسبة للخروج منه ، ولذلك يحاربون حريّة المعتقد بناءً على ذلك ... إنّ تصوّرهم هذا دليلٌ على أنّهم لا يرون الإسلام إلاّ عصبيّة مبنيّة على العاطفة دون الحجّة والدليل والبرهان ، فتصوّرهم هذا هو نتيجة منهجهم التراثي الجمعي الذي يحارب العقل حتى في تعقّله لآيات كتاب الله تعالى ، ونتيجة عدم إيمانهم بأنَّ حجّة الحق دائماً غالبة ..

.. إذاً .. في دولة على مقاس معتنقي هذا الفكر الذي ينقضه كتاب الله تعالى جملةً وتفصيلاً كما نرى ، سيتمُّ قتل بعض الناس أو تسفيههم وإهانتهم ، نتيجة لاختياراتهم الدِّينيّة أو المذهبيّة أو الطائفيّة ، وكلُّ ذلك سينتج فتناً في المجتمع لا تُحْمَد عقباها .. وسيتمُّ تكفير بعض الناس أو اتّهامهم بالفسق والزندقة بناء على مخالفاتهم لأمور لا وجود لها في كتاب الله تعالى ، ودخلت الفكر المحسوب على الإسلام عبر بعض الروايات وبعض الأقوال لفلان وعلان ، حيث تمَّ – مع الزمن – تحويل هذه الروايات وهؤلاء الرجال إلى أصنام ، يتمّ التطبيل والتزمير لها على حساب منهج الله تعالى ..

.. كيف نُوفِّق بين أحكام كتاب الله تعالى التي تنبض بالرحمة والحكمة وعدم الاعتداء على الأبرياء والأطفال ، وبين الحديث التالي الذي يعتبره (المطبِّلون والمزمِّرون للدولة التاريخيّة تحت شعار الدولة الإسلاميّة) نصًّا مقدَّساً ..

مسلم (٣٢٨١) حسب ترقيم العالميّة :

و حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ يَحْيَى وَسَعِيدُ بْنُ مَنْصُورٍ وَعَمْرٌو النَّاقِدُ جَمِيعًا عَنْ ابْنِ عُيَيْنَةَ قَالَ يَحْيَى أَخْبَرَنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ عَنْ الزُّهْرِيِّ عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ عَنْ الصَّعْبِ بْنِ جَثَّامَةَ قَالَ سُئِلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ الذَّرَارِيِّ مِنْ الْمُشْرِكِينَ يُبَيَّتُونَ فَيُصِيبُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ وَذَرَارِيِّهِمْ فَقَالَ هُمْ مِنْهُمْ

.. ولننظر في النصِّ التالي المُقتطَع من كتاب صحيح مسلم بشرح النووي ، فيما يخصُّ هذا الحديث :

[[..... وهذا الحديث الذي ذكرناه من جواز بياتِهم وقتل النساء والصبيان في البيات ، هو مذهبنا ومذهب مالك وأبي حنيفة والجمهور . ومعنى (البيات ، ويبيتون) أن يغار عليهم بالليل بحيث لا يُعرف الرجل من المرأة والصبي . وأما (الذراري) فبتشديد الياء وتخفيفها لغتان ، التشديد أفصح وأشهر ، والمراد بالذراري هنا النساء والصبيان . وفي هذا الحديث : دليل لجواز البيات ، وجواز الإغارة على من بلغتهم الدعوة من غير إعلامهم بذلك . وفيه : أن أولاد الكفار حكمهم في الدنيا حكم آبائهم ، وأما في الآخرة ففيهم إذا ماتوا قبل البلوغ ثلاثة مذاهب : الصحيح : أنهم في الجنة . والثاني : في النار . والثالث : لا يجزم فيهم بشيء . والله أعلم .]]

.. مهما بلغت الكلمات المعسولة بطمأنة الآخرين ((من قِبَل المطبِّلين والمزمِّرين للدولة التاريخيّة التي يسمّونها دولة دينيّة ، والدِّين الحقّ منها براء)) فهل ستكون هناك طمأنينة يمكنها أن تدخل نفوس أبناء المجتمع ، مع الإيمان الكامل للمطبِّلين والمزمِّرين بأنَّ مثل هذه النصوص هي نصوصٌ مقدَّسة ؟!!! ..

.. أيُّ طمأنينة يمكنها أن تدخل نفوس الآخرين من أبناء المجتمع تجاه المطبِّلين والمزمِّرين للدولة التاريخيّة التي يسمّونها بالدولة الدِّينيّة ، مع إيمان هؤلاء المطبِّلين والمزمِّرين بالأحاديث التالية ..

مسلم (٤٩٧١) حسب ترقيم العالميّة :

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرِو بْنِ عَبَّادِ بْنِ جَبَلَةَ بْنِ أَبِي رَوَّادٍ حَدَّثَنَا حَرَمِيُّ بْنُ عُمَارَةَ حَدَّثَنَا شَدَّادٌ أَبُو طَلْحَةَ الرَّاسِبِيُّ عَنْ غَيْلَانَ بْنِ جَرِيرٍ عَنْ أَبِي بُرْدَةَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ نَاسٌ مِنْ الْمُسْلِمِينَ بِذُنُوبٍ أَمْثَالِ الْجِبَالِ فَيَغْفِرُهَا اللَّهُ لَهُمْ وَيَضَعُهَا عَلَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى قَالَ أَبُو بُرْدَةَ فَحَدَّثْتُ بِهِ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ فَقَالَ أَبُوكَ حَدَّثَكَ هَذَا عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قُلْتُ نَعَمْ

مسلم (٤٩٦٩) حسب ترقيم العالميّة :

حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ عَنْ طَلْحَةَ بْنِ يَحْيَى عَنْ أَبِي بُرْدَةَ عَنْ أَبِي مُوسَى قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ دَفَعَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَى كُلِّ مُسْلِمٍ يَهُودِيًّا أَوْ نَصْرَانِيًّا فَيَقُولُ هَذَا فِكَاكُكَ مِنْ النَّارِ

مسلم (٤٩٧٠) حسب ترقيم العالميّة :

حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ حَدَّثَنَا عَفَّانُ بْنُ مُسْلِمٍ حَدَّثَنَا هَمَّامٌ حَدَّثَنَا قَتَادَةُ أَنَّ عَوْنًا وَسَعِيدَ بْنَ أَبِي بُرْدَةَ حَدَّثَاهُ أَنَّهُمَا شَهِدَا أَبَا بُرْدَةَ يُحَدِّثُ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ عَنْ أَبِيهِ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَا يَمُوتُ رَجُلٌ مُسْلِمٌ إِلَّا أَدْخَلَ اللَّهُ مَكَانَهُ النَّارَ يَهُودِيًّا أَوْ نَصْرَانِيًّا قَالَ فَاسْتَحْلَفَهُ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ بِاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ أَنَّ أَبَاهُ حَدَّثَهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ فَحَلَفَ لَهُ قَالَ فَلَمْ يُحَدِّثْنِي سَعِيدٌ أَنَّهُ اسْتَحْلَفَهُ وَلَمْ يُنْكِرْ عَلَى عَوْنٍ قَوْلَهُ حَدَّثَنَا إِسْحَقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ وَمُحَمَّدُ

بْنُ الْمُثَنَّى جَمِيعًا عَنْ عَبْدِ الصَّمَدِ بْنِ عَبْدِ الْوَارِثِ أَخْبَرَنَا هَمَّامٌ حَدَّثَنَا قَتَادَةُ بِهَذَا الْإِسْنَادِ نَحْوَ حَدِيثِ عَفَّانَ وَقَالَ عَوْنُ بْنُ عُتْبَةَ

.. هذا ما تحمله هذه الروايات المكذوبة بالنسبة لأهل الكتاب كنظرة عقديّة .. أمَّا كتعامل في ساحة الدّنيا ضمن إطار التفاعل في ساحة وطن واحد ، فالرواية المكذوبة التالية تختزل حقيقة مراد المعتقدين بصحّتها من المطبِّلين والمزمِّرين للدولة التاريخيّة (التي يسمّونها دولة دينيّة) وذلك في تعاملهم مع أبناء مجتمعهم من أهل الكتاب ..

مسلم (٤٠٣٠) حسب ترقيم العالميّة :

حَدَّثَنَا..... عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لا تَبْدَءُوا الْيَهُودَ وَلا النَّصَارَى بِالسَّلامِ فَإِذَا لَقِيتُمْ أَحَدَهُمْ فِي طَرِيقٍ فَاضْطَرُّوهُ إِلَى أَضْيَقِهِ .....

هذا هو الأمر (عند المطبِّلين والمزمِّرين) بالنسبة لأهل الكتاب ، على الرّغم من أنَّ الله تعالى يأمرنا في كتابه الكريم بأن نعاملهم وفق مبدأ ﴿ ۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ﴾ [العنكبوت : ٤٦] .. فكيف إذاً يكون الأمر (عندهم) بالنسبة لغير المسلمين من الديانات الأُخرى ؟!!!!! ..

.. أيُّ مجتمعٍ مستقرٍّ يمكننا أن نتخيَّله حينما يُوضَع مضمون هذه الروايات في دستور الدولة التاريخيّة وتشريعاتها التي يطبِّل لها المطبِّلون ويزمِّر لها المزمِّرون ، وذلك تحت اسم الدولة الدِّينيّة التي مادّتها من هكذا روايات ، ومسبوكة بقوالبهم المذهبيّة والطائفيّة التي صُنعت أصلاً من خلافات سياسيّة حُوِّلت مع الزمن إلى دين ؟!!!!!!! ..

.. أيُّ طمأنينة يمكننا أن نتوقَّعها من الآخرين إذا كان المطبِّلون والمزمِّرون يعتقدون بدخول الآخرين من أبناء دينهم في جهنم ، بناء على الحديث التالي ..

ابن ماجة (٣٩٨٣) حسب ترقيم العالميّة :

حَدَّثَنَا هِشَامُ بْنُ عَمَّارٍ حَدَّثَنَا الْوَلِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ حَدَّثَنَا أَبُو عَمْرٍو حَدَّثَنَا قَتَادَةُ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ افْتَرَقَتْ عَلَى إِحْدَى وَسَبْعِينَ فِرْقَةً وَإِنَّ أُمَّتِي سَتَفْتَرِقُ عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً وَهِيَ الْجَمَاعَةُ

أحمد (١١٧٦٣) حسب ترقيم العالميّة :

حَدَّثَنَا وَكِيعٌ حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ يَعْنِي الْمَاجِشُونَ عَنْ صَدَقَةَ بْنِ يَسَارٍ عَنْ النُّمَيْرِيِّ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ افْتَرَقَتْ عَلَى اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً وَأَنْتُمْ تَفْتَرِقُونَ عَلَى مِثْلِهَا كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلَّا فِرْقَةً

.. لأنّهم يعتقدون بصحّة مثل هذه الروايات التي ما أنزل الله تعالى بها من سلطان ، لأجل ذلك غرقوا في عصبيّاتهم المذهبيّة والطائفيّة ، ولأجل ذلك يحاربون الدولة المدنيّة الديمقراطيّة الحرّة ..